فوصل الى البلاد في شهر حزيران عام ١٨٦٤ على رأس فريق من سلاح الهندسة ، واتم مهمته في أيار من العام التالي . وتضمنت هذه المهمة رسم خارطة للقدس بمقياس رسم ١/٢٥٠٠ ، وخرائط مفصلة لقبة الصخرة المشرفة ، وكنيسة القيامة وغيرهما من الاماكن الهامة في المدينة ، وخارطة للمنطقة المحيطة بالقدس بمقياس رسم ١/١٠٠٠٠ وقامت ادارة المساحة الانجليزية بنشر هذه الخرائط الى جانب صور وملاحظات ، فكان لها أثر كبير في الاوساط البريطانية ، وكانت الحافز المباشر لتشكيل الصندوق . ففي الثامن من أيار نشر اعلان في صحيفة التايمز اللندنية(٦) يدعو المهتمين الى حضور اجتماع لتشكيل جمعية تقوم بتوظيف أشخاص أكفاء للقيام بالمهام التالية : ١ — الحفريات الاثرية ، ٢ — دراسة عادات وتقاليد السكان ولغتهم وطقوسهم الدينية بأدق تفاصيلها، ٣ — دراسة طوبوغرافية الارض : الطرق القديمة ومدى مطابقتها للطرق الحديثة نظرا لانها لم تدرس من قبل بالقدر الذي تستحقه من الاهتمام ونظرا لما لها من اهمية بالغة في دراسة التاريخ ، ٤ — الجيولوجيا ، ٥ — العلوم الطبيعية .

وقال الاعلان ان الامير البرت قرين الملكة فيكتوريا وافق على أن يكون راعيا للجمعية وساهم في رأسمال الصندوق ، وعدد الاعلان الاشخاص الذين وافقوا على الانضمام الى لجنة الصندوق وكانوا جميعا من كبار رجال الدين او أعضاء البرلمان أو الدوقات واللوردات ، ومن بينهم ايرل شافتسبري الذي ورد اسمه مرتبطا بالحزب الديني ، وحدد موعد اول اجتماع للجنة في الثاني عشر من أيار ١٨٦٥(٧). وعقد الاجتماع في كنيسة وستمنستر في الثاني والعشرين من شهر حزيران وفي هذا الاجتماع تم تشكيل الجمعية .

تقدم رئيس اساقفة يورك باقتراح ثلاثة مبادىء تسير عليها الجمعية وهي : ١ — ان يكون اي عمل تقوم به على أساس علمي ، ٢ — ان تمتنع كجمعية عن الدخول في أي جدل ، ٣ — الا تكون جمعية دينية ولا تمارس اعمالها على هذا الاساس(٨).

وقد ووفق على هذه المبادىء وتشكلت الجمعية من خمسة واربعين عضوا في البداية برئاسة رئيس أساقفة كنتربري وكان رئيس أساقفة يورك نائبا للرئيس . ووافقت الملكة فيكتوريا على ان تكون هي راعية الجمعية وتبرعت لها بمائة وخمسين جنيها وتعاقب ملوك انجلترا من بعدها على رعاية الجمعية حتى الوقت الحاضر . وساهمت جامعتا اكسفورد وكمبردج في تمويل الجمعية ، وكذلك الجمعية البريطانية ولجنة تحسين سوريا ، والمحفل الماسوني الاكبر، وعدد كبير من الافراد . واتسع نطاق الجمعية فيما بعد فاصبح لها ستة واربعون فرعا في مختلف انحاء بريطانيا .

بدأت الجمعية اعمالها ببعثة استطلاعية قام بها فريق من سلاح الهندسة البريطاني برئاسة الرئيس ويلسون ، وصلت الى بانياس في مطلع كانون الثاني عام ١٨٦٦ واجرت مسحا لمنابع نهر الاردن وجالت معظم انحاء البلاد حيث قامت بمسح مبدئي ، وكلفت هذه الجولة ١٥٥٠ جنيها(٩).

وفي عام ١٨٦٧ وصلت الى القدس بعثة اخرى برئاسة الملازم تشارلز وارين (الذي وصل فيما بعد رتبة جنرال واعطي لقب سير) وكانت مهمتها: ١ — تحديد موقع الهيكل (هيكل سليمان) بالضبط ، ٢ — تحديد السنة التي بنيت فيها قبة الصخرة المشرفة ، ٣ — تحديد موقع كنيسة القيامة وغيرها من المباني الهامة . وعلاوة على الحفريات التي قام بها وارين في القدس زار غزة وعسقلان ومدنا اخرى واجرى مسحا لمنطقة تبلغ مساحتها ثمانمائة ميل مربع بين غزة والقدس .

وقدمت الى فلسطين بعثة ثالثة عام ١٨٦٩ — ٧٠ توجهت الى صحراء سيناء (لمعرفة الطريق الذي سلكه بنو اسرائيل في هجرتهم من مصر الى فلسطين) وكانت برئاسة الرئيس ويلسون ومساعده الرئيس بالمر وهو أيضا من سلاح الهندسة . ولكن هذه كلها كانت مقدمات لعمل اهم واكبر عرف باسم (مسح فلسطين الغربية) والمقصود بذلك فلسطين الممتدة من البحر الابيض المتوسط غربا الى نهر الاردن شرقا ، وقد استغرقت هذه العملية ست سنوات من عام ١٨٧١ الى عام ١٨٧٧ ، وكانت مهمتها رسم خارطة لفلسطين

---

٦ — صحيفة التايمز ١٨٦٥/٥/٨ .

٧ — **المصدر نفسه** .

٨ — Fifty Years Work in Palestine

٩ — **المصدر نفسه** .